الغوص على اللؤلؤ

في شعر الخليج العربي الحديث

الدكتور الرشيد بو شعير

إن الغوص على اللؤلؤ أثر تأثيراً واسعاً في جميع مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والوجدانية والفنية والأدبية بمنطقة الخليج العربي شعبياً ورسمياً؛ فقد أثر – على سبيل المثال لا الحصر – في عادات الزواج ومواعيده[١]، وأثر في الحياة الاقتصادية المتعلقة بدخل الفرد ووجود شريحة عمال البحر التي دخلت في علاقات اقتصادية واجتماعية معينة، وأثر في الأسماء[٢] وألعاب الأطفال[٣] وأغانيهم[٤]، كما أثر في الرقصات والإيقاعات والمواويل الشعبية التي «عبّرت عن كل مرحلة من مراحل العمل البحري، بدايةً من صنع السفينة على اليابسة حتى عودتها من رحلتها الطويلة الشاقة، مروراً بكل التفاصيل الصغيرة لمسيرة العمل فوق السفينة أو تحتها في اليمّ أو في الأرض، مع حملها لكل المعاناة[٥] الجسدية والنفسية للإنسان البحّار في كده اليومي، وحنينه الدائم إلى الحبيبة المرأة والوطن، والأطفال والاستقرار والطمأنينة»[٦].

هذا الأثر العميق لايتجلّى لنا في الفنون والآداب الشعبية فحسب، وإنما يتجلى لنا في الآداب الرسمية[٧] كذلك، ويتجلّى لنا في الشعر بالتحديد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(وهو مجال دراستنا هذه) .

والحقيقة التي تغيب عن أذهان كثير من الدارسين أن حياة البحر والغوْص على اللؤلؤ تتجذّر آثارها في الشعر العربي منذ العصور القديمة؛ ذلك أن علاقة الإنسان العربي في الخليج بالبحر واللؤلؤ علاقة عريقة وليست طارئة .

ومن الشعراء القدامى الذين تهدينا أشعارهم إلى هذه الحقيقة نتمثل بكل من «المسيب بن علس»(٨)، و «الأعشى ميمون»(٩)، و «المخبل السعدي»(١٠) و «أبي ذؤيب الهذلي»(١١)، وغيرهم.

ونجد كذلك شعراء آخرين في العصر الأموي من أمثال «القطامي»(١٢) و «الفرزدق»(١٣) .

وليس من شك في أن هذا الارتباط القديم بالبحر والغوص في منطقة الخليج العربي يضفي على الشعر المعبّر عنه مسوح الظاهرة الأدبية المتميّزة التي تعد «مفاجأة» بالنسبة إلى بعض الدارسين الذين تعوّدوا أن ينظروا إلى الشعر الحديث في هذه المنطقة بوصفه شعراً ظل ملتزماً بالإصلاح الاجتماعي والقضايا الوطنية والتربوية التي كانت «من القوة والبروز بحيث طبعته بطابعها القوي المؤثر الذي طغى على الجوانب الفنية والجمالية والأدبية الخالصة»(١٤)، على حد تعبير الدكتور محمد جابر الأنصاري.

وإذا كانت ملامح هذه «الظاهرة» الشعرية قد تجلّت بوضوح في بعض الأقطار الخليجية بفضل الدراسات المحدودة التي التفتت إليها(١٥)، فإن بعض الأقطار الخليجية الأخرى لمّا تتضح فيها ملامح هذه الظاهرة بعد؛ وذلك لأسبابٍ تتعلق أساساً بغياب الدراسات التي تنقّب عن النصوص الضائعة التي تنتظر من يبحث عنها ويجمعها ويوثقها، وخاصةً في تلك المجتمعات التي كانت تعتمد على الرواية والمشافهة وليس على التدوين والكتابة؛ لأن وسائل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الطباعة والنشر لم تعرف فيها إلا في فترة متأخرة نسبياً .

إن عدم اكتمال هذه الظاهرة الشعرية في بعض الأقطار الخليجية يُتّخذ ذريعةً للشك في أصالة الشعر العربي الحديث في تلك الأقطار وصدق التجربة التي يعكسها. ويكفي في هذه العجالة أن نقف عند رأي الناقدة «خيرة الشيباني» التي سجلت حيرتها أمام غياب شعر الغوص في الإمارات العربية المتحدة على النحو الآتي: «فمن المفارقات العجيبة ألا نجد في شعر الامارات رائحة الخليج وملوحة جلد الغواصين وأغانيهم المحمّلة والمثقلة بالتعب والهم واليأس تارةً، والهازجة بالأمل وفرحة الكسب تارة أخرى. إننا لانجد في شعر الامارات – كما نجد في الشعر الكويتي أو البحريني خاصة – أخباراً عن رحلات الغوص وانتظار الزوجة والحبيبة وأغاني الوداع واللقاء وتراتيل الدعاء بالعودة المظفّرة ولاجشع النوخذة واستغلالهم لعمل الغواصين، ولا نجد أنين الصواري وأغاني الأشرعة.. كيف كان نموذج الغوّاص غائباً في شعر الإمارات في حين أن سكانها كانوا يعيشون على صيد السمك والبحث عن اللؤلؤ في أعماق البحر في رحْلات شاقة طويلة؟»(١٦)

وكما نرى فإن هذه الناقدة تفصل بين الشعر والحياة الواقعية المعيشة في الإمارات، وبالتالي فإنها تشك في أصالة هذا الشعر الذي لايعكس حياة الغَوْص، وكأنَّ غياب هذا اللون من الشعر في منطقة من مناطق الخليج حجةٌ دامغةٌ على غياب الأصالة الشعرية!

ولعله من نافل القول الاشارة إلى أن غياب شعر الغوص في قطر من أقطار الخليج العربي التي كانت على صلة وثيقة بالبحر والغوص ليس دليلاً كافياً على غياب الأصالة الشعرية التي يمكن أن تتحقق في ألوانٍ أخرى من الشعر، كشعر الغزل والشعر الوطني والشعر القومي وما إلى ذلك. كما أنه من الصعب أن ننفي وجود نصوص شعرية تتناول الغوص في الإمارات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العربية المتحدة؛ فعلى الرغم من قلة تلك النصوص، فإن هناك قصائد لشعراء رواد من أمثال سالم بن علي العويس وخلفان بن مصبّح، وشعراء معاصرين من أمثال الدكتور مانع سعيد العتيبة وسلطان خليفة وغيرهما، كما سنرى بعد قليل .

وربما كانت قلة هذا اللون الشعري في بعض أقطار الخليج العربي مرتبطة «بمفهوم الأدب»[١٧] لدى شعراء تلك الأقطار، وهو المفهوم الذي يجعل الأدب قصراً على الموضوعات الاصلاحية والتربوية والجمالية المثالية .

* * *

وأيا مايكون الأمر، فإن هناك كثيراً من الأعمال الشعرية الحديثة التي تعكس حياة الغوص في منطقة الخليج العربي، سواء أكانت تلك الأعمال لرواد محدثين عاشوا في النصف الأول من القرن العشرين أم كانت لمعاصرين عاشوا في النصف الثاني من القرن العشرين .

وإذا أردنا أن نصنف هذه الأعمال على أساس المضامين فإننا نجد رؤى متعددة يمكن حصرها فيما يأتي :

أ – الرؤية الرومانسية : وقد تكون ذت مستوى سطحي تسجيلي يكاد يقترب من المستوى الحرفي عند الواقعيين الطبيعيين . والشاعر هنا يتعامل مع البحر والغوص من الخارج بوصفهما من المشاهد الطبيعية الجميلة الخلابة التي تداعب الحس الجمالي وتدغدغ عاطفة الاعجاب أو الهيام على الطريقة الرومانسية. ونستطيع أن نتمثل لهذه الرؤية بقصيدة الشاعر القطري محمد أحمد عبد الله المطوّع التي تحمل عنوان «البحر»، وهي القصيدة التي نجتزئ منها الأبيات الآتية :

«قوارب فوقه كالدرّ في نظم أم أنها ماثلت أشجار وديان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لولا البحور فما كانت بنافعة ... الله سيّرها في ماء خُلجان
ماذا إذا غُصت في الأعماق تكشفه ... من غامض السر في أصدافِ عقيان
رأيت أبهى جمال في بواطنه ... مالم ير المرء من عُجْمٍ وعربان
الدرّ يكمن في أحشائه حُللاً ... ويستقر بقاع كل مَرْجان
نجومُه روْعةُ الأشكال هندسةً ... أفراسه نمط من جنس حيتان
الله أودعه من فيض قدرته ... في بحرنا عجب من صنع ديّان
فيه الجمالُ وفيه الحب منبثقٌ ... للناس أجمعهم في كل أحيان»(١٨)

قالشاعر هنا يحرص على وصف مظاهر الجمال في البحر مبدياً إعجابه بما يراه على سطحه من قوارب قد انتظمت كالدرّ أو كأشجار الوديان، وبما يراه في أعماقه من أصداف ودر ومرجان ونجوم ذات أشكال هندسية رائعة، وحيتان وما إلى ذلك من «غامض السر» الذي أودعه الله «من فيض قدرته» :

وهي الرؤية ذاتها التي نكاد نجدها عند شاعر آخر، وهو «سلطان خليفة» في قصيدته «شاطىء المحار» التي نقتطف منها الأبيات الآتية :

«أتيت أستفسر الشطآن عن صَدَف ... حوى اللآلي هل يدري خفاياه
هذي المحارةُ هل تدري بداخلها ... كنزاً هو الكنز أغرانا بمرآه
ماأجمل اللؤلؤ المكنونَ إن نضدت ... حباته فوق جيد عشت أهواه»(١٩)

وهذا الجمال الخلاّب يجعل من البحر محراباً يلوذ به أولئك البائسون الذين يلوكهم الضنى ويتنكر لهم الخلان ويجور عليهم الزمان. وهو مايشكل رؤية متميزة إلى البحر بوصفه ملاذاً، على نحو مانجد في قصيدة محمد أحمد عبد الله المطوّع آنفة الذكر، وذلك في قوله :

«كم عاشقٍ مغرمٍ مُضنى محبته ... يشكو إلى البحر نجوىً هجرَ خلاَّنِ
وكم عليلٍ حكى للبحر مايجد ... من لوعة القلب في صمتٍ وإعلان

شبكة الألوكة www.alukah.net
هيئة مجمع اللغة العربية بالشارقة مع تحيات شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبائس يمقت الدنيا ويسخطها ... ويقصده من جور أزمان*
قد صُد في وجهه بابٌ ونافذةٌ ... فلا يرى غيره رَوْحاً لحيران»(٢٠)

وهذا اللجوء إلى البحر ليس جديداً في الشعر العربي؛ فهو شائع في أعمال الشعراء الرومانسيين العرب، وخاصة في أعمال المهجرين وجماعة «أبوللو»؛ إذ إننا كثيراً مانجد هؤلاء الشعراء الرومانسيين يلوذون بالبحر فارين من قسوة الحياة وزيف القيم الاجتماعية مبتغين التأسي، على نحو مانرى عند إبراهيم ناجي الذي يلجأ إلى البحر فيناجيه على النحو الآتي :

«قلت للبحر إذ وقفتُ مساءَ ... كم أطلتُ الوقوفَ والاصغاء
وجعلتُ النسيمَ زاداً لروحي ... وشربتُ الظلالَ والأضواءَ
أنت عاتٍ ونحن حرب الليالي ... مزقتنا وصيرتنا هباءَ
وعجيبٌ إليك يمّمتُ وجهي ... إذْ مللتُ الحياة والأحياءَ
أبتغي عندك التأسي وما تمـ ... ـلك رداً وما تجيب نداءَ!»(٢١)

وقد تتخذ هذه العلاقة الرومانسية بالبحر والغَوْص صورةً أخرى، وهي صورة الرحلة. وهنا نجد الشاعر يصف رحلته وصفاً حيادياً لايعكس بالضرورة موقفاً محدداً ولا يعبّر عن تجربة مأساوية أو بطولية بقدر ما يعبّر عن تجربة سياحية. ويمكن أن نتمثل هنا بقصيدة للشاعر الاماري الجامح «خلفان بن مصبّح»، وهي قصيدة «ركوب البحر» التي وصف فيها رحلته إلى الكويت، والتي نقتطف منها مايأتي :

«ليوم السبت من شوال قمنا ... لأربع قد خلون وعشر تال
ركبنا اللجة الزرقاء نحدو ... وفوّضنا الأمور لذي الجلال

(*) الشطر الثاني من البيت مختل الوزن ويمكن اصلاحه بإضافة (جاء) فيصبح: وجاء يقصده من جور أزمان / [المجلة].

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وسار الفلك يمخر في عباب تقاذفه الجنوب مع الشمال
ولاح لنا «الكويت» على مغيب وقد جزنا به وقت الزوال
ومن «حالول» سرنا بانتباه ومجرانا «السماك» بكل حال
وهبت، عند نصف الليل، ريح وهب الجمع يمسك بالحبال
يغطي الموج منا كل شيء ويظهر بالعناد ولا يبالي
وصوت «النوخذا» يأتي إلينا كما الوديان تهدر في الجبال
وعصف الموج شتتنا فبتنا كريش لايقر على مجال»(٢٢)

إن «خلفان بن مصبّح» في هذه القصيدة – التي يخصّص مقطعاً منها لوداع الأحبّة قبيل ركوب البحر ومقطعاً آخر لوصف مدينة الكويت ومظاهر الجمال والرقيّ فيها، بالاضافة إلى وصف رحلته البحرية – لايعاني تجربة الغوص بوصفه غواصاً؛ فكل مافي الأمر أنه كان «يرافق جده وأخواله في رحلات الغوص خلال فصل الصيف فقط، ولم يكن يقوم بعمل محدّد، إنما كان يرافقهم بقصد الاطلاع والمعرفة واكتساب الخبرة»(٢٣) كما تؤكّد شقيقته «غاية».

والجدير بالملاحظة هنا أن «خلفان بن مصبح» قد صاغ تجربته في هذه الرحلة على شكل مذكرة، وهو الشكل الذي يطوره «محمد الفايز» فيما بعد في ديوانه «مذكّرات بحّار».

كما نجد الرؤية الرومانسية تتخذ صورة أخرى، وهي الصورة الملحمية البطولية. وهنا نجد الشاعر الخليجي يعتز بما في الآباء والأجداد من الغاصة الذين كانوا يوجهون البحر فيتحدون أخطاره وأهواله بإرادة نادرة وينتزعون رزقهم عنوة دون خوف أو خور.

ومن أبرز الشعراء الخليجيين الذين كانوا يصدرون عن هذه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الرؤية الشاعر الاماري الدكتور مانع سعيد العتيبة في مطولته الشعرية الموسومة «بالمسيرة»، وهي المطوّلة الملحمية التي تناول فيها مسيرة الشعب العربي في الإمارات.

ولا يسعنا هنا إلا أن نثبت الجزء الخاص بمرحلة الغوص في هذه «المسيرة» بوصفها لوحة مكتملة نحرص على تقديمها كما هي :

«كان للوالد في البحر رفاقٌ وسفينه
صنعوها بالأيادي السمر شماءَ متينه
رفعوا فيها شراعَ الحبِّ لاشرع الضغينه
فإذا الأمواجُ ثارتْ ولها صارتْ رهينه
برزَ الإيثارُ فيهم وبطولاتٌ دفينه
قهروها بثبات وإراداتٍ مكينه
كلَّ صيفٍ يبحر الوالدُ في عرض الخليجْ
فإذا حانَ رحيلٌ قام في الحيّ ضجيج
من يراهم في صفوفٍ خالهم بعض الحجيج
يحملونَ الزادَ والماءَ وذكرى كالأريج
ودّعوهم بابتسامٍ لابنَوْحٍ أو نشيج
واطلبوا من خالق الكون لهم عوداً بهيج
تذهبُ الأسرة للشاطئ تسعى للوداع
فترى الوالدَ مشتاقاً لغوْصٍ وصراع
قال : ياأولاد لاتخشوا علينا من ضياع
بحرنا نعرفه طفنا على كلِّ البقاع
صرخ الأولادُ فارجع غانماً ياخير راع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ورجـــاءً أيهـــا الريـــحُ ترفّق بـالشـــراع
ومضى المحمل فامتدت من البر الأيادي
لوّحتْ قالت وداعاً: إنكم فخر البلاد
رفع النّهّام صوتَ العزم بالصبر ينادي
يتحدّى عاصفاتِ البحر والموْجَ المعادي
منشداً للرزقِ أسعى وعلى الله اعتمادي
فاستريحي ياعيونَ الأهل من شوك السهاد
ترجع الأسرة للبيت بحلو الذكريات
غابَ راعيها ولكنْ في غدٍ لابد آتِ
يحملُ الرزقَ وفيراً بعد نأي وشتات
يزرعُ الأفراح في كل النواحي والجهات
قبِل اليومَ التحدي وصراعَ العاصفات
ومضى يصنعُ درباً للمعالي في الحياة
تبدأ الرحلةُ دوْماً بعبورٍ للبحارْ
وعناقٍ مع موجٍ ووقوفٍ لاختبارْ
ينزل الغواصُ للأعماقِ بحثاً عن محارْ
نامَ مابيْنَ صخورٍ ماتمنَّى أنْ يُزَارْ
فإذا شحَّ عطاءٌ ملَّ قوْمي الانتظار
ردَّد النَّهامُ لحناً والمجاذيف تُدار
كلما أشرقَ صُبْحٌ نزل الغاصةُ بحرا
ثم غاصوا باحتمالٍ يقهرُ الأعماقَ قَهْرا
جمعوا منها محاراً كان يخفي فيه سرًّا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم عادوا واستراحوا من عناءِ الغوصُ ظهرا
وأعدّوا لغداءٍ بعضَ أسماكٍ وتمرا
لم يرووا غيرَه زاداً فينا الله شكرا
بعدها عادوا لغوصٍ بقلوبٍ لاتهابْ
حولهم طافتْ وحوشٌ أشرعت سيفاً وناب
قابلوها دون خوفٍ فالتحدي مستطابْ
سمكُ القرش الذي مابين فكيه الخرابْ
كان يلقاهم فيمضي باندهاشٍ واضطرابْ
هكذا من رام مجْداً لايبالي بالصعابْ
ثم يأتي كشفُ أسرار المحارات الدفينهْ
وهنا أحلى لقاءٍ يفرحُ النفسَ الحزينهْ
بعضها جادت بخير غيرُها كانت ضنينهْ
هي بعد البيع دخلٌ يتمنى أن يعينهْ
وعلى صدر الغواني زادت الزينة زينهْ
مضتِ الأيامُ نادى الشوقُ ركابَ السفين
تركوا الغوْص وعادوا واستجابوا للحنين
يابلادَ الأهل والأحباب جئنا منشدين
معنا الخيرُ وفيرٌ لؤلؤٌ حلوٌ ثمين
صرخ الوالد نادى بين صحبٍ مخلصين
أسرتي فلتبشري قد جئت بالنصر المبينْ
وعلى الشاطىء كان الأهلُ في أحلى اجتماعْ
يرقبونَ الأفقَ النائي فإن لاح الشراعْ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ضَجّ بالترحيب أطفالٌ وصاحوا باندفاعْ
مرحباً يامَنْ إليكم ظمئ القلبُ وجاعْ
مرحباً ياخيرَ آباءٍ لقد طال الوداعْ
عدتم اليومَ بكسبٍ خيره عمَّ وشاعْ»(٢٤)

إن الدكتور مانع سعيد العتيبة في هذه «المسيرة» الملحمية يتابع رحلة الغوص من البداية حتى النهاية، وذلك بدءاً من صنع السفينة حتى العودة بالخير الوفير؛ فالآباء يصنعون سفينة الرحلة بأيديهم «السمر» ويرفعون عليها «شراع الحب» وليس «شرع الضغينة»؛ فإذا كانت بعض الشعوب تصنع السفن من أجل الاعتداء على بني البشر الآمنين فتغزوهم في عقر ديارهم ظلماً وعدواناً، فإنّ هؤلاء الآباء كانوا يصنعون السفن من أجل مواجهة أمواج البحر وحيتانه ووحوشه في إرادة وإيثار وصبر وجلد وبطولة «دفينة» موروثة أباً عن جد. إنهم يبحرون كل صيف وهم يحملون الزاد المادي القليل الذي يكاد يقتصر على شيء من التمر والسمك وجرعة ماء، ولكنّ الزاد الروحي الذي يستمدونه من الإيمان بالله لاينضب معينه ولا يغيض، ولهذا فإنهم يشكرون الله ويعتمدون عليه، فيندفعون إلى الرحلة وهم يشتاقون إلى الغوص والصراع مطمئنين أهلهم الذين يقفون على الشاطىء مودعين .

وبينما يعود الأهل إلى بيوتهم وهم يلوكون «حلو الذكريات» ويحلمون بعودة أولئك المبحرين الأبطال بالخير الوفير، يشرع الغاصة في عبور الأمواج والنزول إلى أعماق البحر باحثين بين الصخور عن المحار الذي ينطوي على اللآلىء الجميلة، غير مبالين بالوحوش التي تشرع سيوفها وأنيابها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهنا يستخلص الشاعر حكمة من حياة هؤلاء الغواصين الأبطال؛ «فمن دام مجداً لايبالي بالصعاب». ويعود الغاصة بعد أيام منتصرين يحركهم الشوق إلى وطنهم وأحبائهم وهم ينشدون ويحلمون بالخير الوفير الذي يعم الجميع فيستقبلهم أهلهم الذين يرقبون عودتهم بفارغ صبر مندفعين مرحين .

تلك هي زبدة الحكاية الملحمية التي صاغها الدكتور العتيبة شعراً معبراً عن رؤيته الرومانسية البطولية التي تتجاوز الغاصة المبحرين إلى الأهل المودعين الذين يبدون كثيراً من الصبر والجلد والصمود في هذا الموقف الدقيق. ذلك أن المودع لايدري ماإذا كان الغائص سيعود إلى منزله فيرى أبناءه وزوجته مرة أخرى. وكأن الشاعر يحس بغنى هذا الموقف وإيحائه بعاطفة إنسانية عميقة فيخرج عن سمت الأسلوب السردي الملحمي الحيادي إلى الأسلوب الانشائي الذي يتيح له أن يعبر عن إحساسه وموقفه مباشرة:

«ودّعوهم بابتسامٍ لابنَوْحٍ أو نَشيجْ
واطلبوا من خالق الكون لهم عَوداً بهيج»(٢٥)

ولعلنا نستطيع أن ندرج رؤية خليفة الوقيان في قصيدته «المبحرون مع الرياح» ضمن هذه الرؤى الرومانسية؛ ذلك أنه ينظر إلى هذه الشريحة الاجتماعية نظرة مثالية تعبّر عن تعاطفه الانساني معها وإشفاقه عليها. إن خليفة الوقيان في هذه القصيدة يعبر عن معاناة هؤلاء الغواصين، ولكنه يتعاطف معهم من بعيد على طريقة تعاطف الرصافي مع «الأرملة المرضعة»، وهي رؤية مناقضة لرؤية سلطان خليفة أورؤية محمد أحمد عبد الله المطوّع أو الدكتور العتيبة.

ونكتفي بتقديم نماذج من قصيدة «المبحرون مع الرياح» التي تترجم هذه الرؤية الرومانسية :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

«أوراقكم في غُصنها يبستْ ويد الشتاء تذيبُها سَحْقا
وجذوعكم عُريانةً سَجَدتْ والريحُ تَحرقُ عُريَها حَرْقا
أثوابُكم مِزَقٌ ومَا خُلِعتْ حتام فوقَ جلودكم تبقى
كم رحتُ أخلعُ فوقها جَزَعاً ثوْبي، وكم لملمتُها رتْقا
الريحُ تسرَحُ في شراعِكُمُ غرباً، وأبحرُ فيكم شرْقا
إنِّي سأرشقكم إذا حُرقَت أجفانكمُ بأزاهري رشقا
قلبي لكُمْ في كل مُفْترقٍ زيْتُ السِّراج بليلكم يَشْقى»(٢٦)

وسنرى فيما بعد أن «علي السبتي» ينقض هذه القصيدة معبّراً عن رؤيةٍ واقعية مختلفة عن هذه الرؤية الرومانسية(٢٧).

ب – الرؤية الواقعية : وهي الرؤية التي يتبناها كثير من الشعراء الخليجيين الذين يأتي في مقدمتهم كل من سالم بن علي العويس وخليفة الوقيان ومحمد الفايز صاحب القدح المعلّى الذي استطاع – في تقديرنا – أن يجعل شعر الغوص غرضاً من أغراض الشعر العربي الحديث .

ونجد أن هؤلاء الشعراء لم ينظروا إلى الغوص نظرة رومانسية جمالية أو سياحية أو بطولية، وإنما نظروا إليه بوصفه مظهراً من مظاهر المعاناة المادية الجسدية والعذاب النفسي والجور الاجتماعي .

إن «سالم بن علي العويس» في قصيدته «الغوص واللؤلؤ» يقف على الشاطيء فيرى حُطامَ السفن الذي كان يبدو كالخرائب أو الرسوم البالية فيستحضر ماضي الغوص أيام كانت تلك السفن في عز نشاطها وحركتها مستخلصاً العبر والمواعظ من هذا الموقف الذي يبدو فيه الزمن ساخراً من الإنسان :

«لِمَن السفينُ تلوح كالأطلال بعد الزّعامة والمقام العالي
تلك التي رفعتْ لواءَ رجالها في المهمه القتَّال عند الآلِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تلك التي بُنيَتْ لتجني لؤلؤاً ... الله أكبر من حصاد لآل
رفعتْ لواءَ المسرفين وأنبتتْ ... داءَ السِّلالِ بكل من ذي مال
عَصفَت رياح السوء في أعطافهم ... فلووا رؤوساً في رقاب جِمال
ماقومُ هودٍ أو شُعيْبَ وصالحٍ ... منهم بعيد والخرابُ الحالي
الجودُ والتقوى الكذوب تزعزعتْ ... من فتنةٍ في مخنق قَتَّال
لا الشعبُ إن النزالَ مؤيداً ... شيخا ولا للحق من أطلال*
والشعب إن عزَّ النفير بأهله ... بات المقاتلُ فيه غيرَ مبالِ
والشعب إن قلَّت مرافق يومه ... دبَّ الخراب بكل بيت عال
وهناك تلتبس الأمور وينطوي ... ذاك البساط بزاجر الأمثال
هيهات أيتها السفينُ فإنما ... وضح النهارُ ولات حين خيال
للخيزرانة فوقَ ظهرك لمعةٌ ... كالبرق تلمع في المريض البال
كي تدفعيهم إلى البحر الذي ... يقضون فيه لضعفهم في الحال
أينَ الشريعةُ من صنيعك فاذكري ... يوميك عند زعيمك المختال
وسليه هل في فيه بعدُ بقيةٌ ... من أنيب الأيام والأمثال
أعيا الزمانُ غدوَّه ورواحه ... وأقامه للبغي كالتمثال»(٢٨)

إن هذه القصيدة الطويلة التي نجتزئ منها هذه الأبيات تعكس مدى علاقة الشاعر بعالم الغوص والبحر، وتجسد «ارتباطه الانساني الوطني»(٢٩)، وصدوره عن تربة أرضه ذات الرائحة المتميزة. فالشاعر يبدي تعاطفه العميق مع الغاصة الذين كانوا يعانون في هذه السفن من عصف الرياح وداء الصدر ووجع الخيزران الذي كان يلهب ظهروهم دون أن يأخذوا المقابل المادي

(*) الشطر الأول من البيت مختلّ الوزن،،وهو من الكامل، وقد أسقط الباحث فعلاً بعد (إن) والوزن يستقيم بإضافة فعل (رام) أو نحوه فيصبح: لا الشعب إن رام النزال مؤيداً. / [المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المشروع الذي يساوي ذلك العذاب. ولكن الزمن جعل تلك السفن أثراً من الآثار التي تظل شاهداً على ذلك الماضي القاسي الجامد كالتّمثال.

إن سالماً العويس – كما نرى – يصدر عن رؤية واقعية تدين العلاقات الاجتماعية التي كانت مرتبطة بالغوص، ولكن هذه الرؤية تظل منسجمةً مع ثقافة الشاعر وعقيدته الروحية ولا تتقولب في نسق أيديولوجي معيّن .

وإذا كان سالم بن علي العويس – كما مرَّ – يدين «النواخذة» الذين يرى أنهم لم ينصفوا الغاصة، فإن «عليا السبتي» – الذي ينقض قصيدة «خليفة الوقيان» آنفة الذكر بقصيدة تحمل العنوان ذاته «المبحرون مع الرياح» صادراً عن رؤية واقعية تختلف تماماً عن رؤية «الوقيان» الرومانسية – يدين الغاصة أنفسهم ويحملهم مسؤولية المعاناة التي يعانونها محاولاً تجسيد مواقفهم السلبية على النحو الآتي :

«من تُتَّخَذْ أمي عروسته ... عمّي يصيرُ ووالداً أنْقى
هذي سياستهم ومبدؤهم ... الجمعُ إنْ غِشا وإنْ صِدْقا
سلني فعندي بعضُ معرفةٍ ... بالمبحرين تخالهم غرقى
وتخالُ من زيفٍ عيونَهُمُ ... نبعيْن من نهر الهوى شُقا
أيْن الهوى من عين لاهثةٍ ... خلفَ السراب تظنه برقا»(٣٠)

إن رؤية «علي السبتي» هنا تتضمَّن ثورة مكبوتة؛ فكأنه ينتظر منهم أن يتمردوا على أوضاعهم وأن يغيّروا مابأنفسهم حتى يغير الله مابهم .

وهذه الرؤية الواقعية تظل رؤيةً نشازاً بين الرؤى الواقعية الأخرى التي نراها عند شعراء آخرين من أمثال مبارك بن سيف ومحمد الفايز وغيرهما . فالشاعر مبارك بن سيف في قصيدته «سفن الغوص البائسة» يتعاطف مع الغواص فيخاطب ماء الخليج:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

«ظالمٌ أنت وجبار وغدار وقاسي
تزرع اللؤلؤ في الأعماق
كالصيد الدفين
وهي لاتعدو سراباً أو كمين
وترى الغواص منهوك القوى
يقتفي آثار درة
قد يلاقيها إذا طال عناؤه
قد يلاقيها ويمسكها ويفرح
وتكون المسكة الأولى له آخر مرة
ثم يبدلها ويفديها بتمرة
ويغنّي.. ويصفق
ويردّد آهة النَّهّام
في الليل الحزين»(٣١)

إن الغواص – كما يقدمه لنا مبارك بن سيف – يعاني من ظلم البحر وجبروته وغدره؛ لأن البحر يزرع اللؤلؤ في أعماقه كميناً يصطاد به ذلك الغواص المسكين الذي مايكاد يمسك بالدرة بعد جهد جهيد حتَّى يضطر أن يتخلّى عنها مقابل تمرة يقتات بها ويواصل تفاؤله وأمله السرابي فيصفق ويردد آهة «النهام» .

ومحمد الفايز في ديوانه «مذكّرات بحار» يتعاطف هو الآخر مع الغواص، ولكنه يختلف عن الشعراء السابقين من حيث كونه ينطق بلسان ذلك الغواص ويعبّر عن معاناته المأساوية من الداخل وليس من الخارج. ومن هنا فإنه يلجأ إلى شكل شعريّ يعد جديداً في الشعر العربي الحديث وهو شكل المذكرات الذي ينسجم مع هذه الرؤية الواقعية الحميمة التي تلتقط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فُتات حياة الغواص اليومية في البر والبحر :

الشمسُ فوقَ السور تُشْرق مثلَ قنديلٍ كبيرْ
تهدي خُطانا مثلما كنَّا على ضوء النجومْ
في الليل نسري عبرَ هاتيك البحارْ
أيامَ كنتُ أعيش في الأعماق، أبحثُ عن محار
لقِلادةٍ. لسوار حسناء ثريهْ
في الهند. في باريسَ. في الأرض القصيهْ
أيامَ كنتُ بلا مدينهْ
وبلا يدٍ تحنو عليَّ ولا خدينهْ
إلا حبالي والشراعْ
ويدي المقرَّحة الأصابع والضَّياعْ
والريحُ. والأسماك في القاع الرهيبْ
غَرثى تطاردني بعالمها الغريبْ
عن عالمي القاسي العنيفْ
يابحرُ. ياقبراً بلا لحْدٍ. ويادنيا عجيبهْ
أجتازُ عالمها المخيفَ بروح بحّار كئيبهْ
أبداً يغنيّ للسواحل والعيالْ
يترقبون قدومَه بعد المحال
ويعود من رحْلاته كيما يعودْ»(٣٢)

إن محمداً الفايز يعبّر عن ضروب المعاناة التقليدية التي يحياها الغائص، سواء كانت معاناة مادية أونفسية، بدءاً من مصارعة الريح والموج وأسماك القرش والأيدي المقرّحة، حتى الاحساس بالضياع والإحباط والجهد العقيم والظلم والاغتراب والحنين إلى الأهل وعدم الاستقرار، ولكنه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يتميّز عن غيره بإحساسه المرهف الحاد الذي يقطع كالشفرة .

وإذا كان غواص محمد الفايز يشقى بحياة البحر الذي يعده «قبراً بلا لحد»، فإنه يشقى كذلك بحياة البر الذي يعده أفظع من البحر:

«أواه ياأرضَ الحرائق والسمومْ
البحر أحنى من ضفافك، والشراعْ
أذرى إليّ من الصنوبر، يابحار
الملح فيك ألذ من عنب الدوالي في المدينةْ
فخذي شراعي ياريحُ خذي السفينهْ»(٣٣)

ولو أردنا أن نبحث عن نصوص شعرية أخرى تصدر عن الرؤية الواقعية لوجدنا عدداً كبيراً منها، ولكنَّ تلك النصوص لن تضيف شيئاً إلى هذه الرؤية؛ لأنها لاتعدو أن تكون مجرد صدى لصوتٍ واحد .

حـ – **الرؤية العبثية :** وهنا لابد أن نلفت النظر بدءاً إلى أن هذه الرؤية ليست مكتملة في أعمال الشعراء الخليجيين، بل إنها أقرب ماتكون إلى الارهاصات العبثية التي تعدّ مستوردة من الثقافة الغربية وليست نابعة من قيمنا العربية الاسلامية المحلية .

وتبدو لنا ملامح هذه الرؤية شذرات أو أشتاتاً متفرقات في بعض الأعمال الشعرية التي تناولت غرض الغوص، ويكفي أن نشير في هذه العجالة – على سبيل المثال لاالحصر – إلى الاحساس الممض بعقم جهد الغائص على نحو مارأينا عند مبارك بن سيف الذي يصوّر ذلك التعب المضني الذي يعانيه الغائص من أجل الظفر بالدّرة دون طائل؛ فكل ذلك التعب يذهب هباءً، مادام الغواص يضطر أن يتخلّى عن تلك الدرّة مقابل تمرة. وهو الاحساس الممض ذاته الذي نجده في أعمال محمد الفايز الذي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يعي غواصُه جيداً أن ثمار جهوده لايقطفها هو، وإنما تقطفها امرأة مجهولة في «الهند» أو في «باريس» أو «في الأرض القصيه»[٣٤]، فتتخذ من تلك الدرة حلية تزين معصمها أو أذنيها أو جيدها .

ومن هنا فإنَّ غوّاص محمد الفايز في المذكرة العشرين من «مذكرات بحار» يرفض الأرض التي تقدم «الغلال» لغيره وتقدم له «الشوك» و «السهر»[٣٥] .

ومن شذرات هذه الرؤية كذلك أن الغواص في كثير من قصائد الغوص دائم الابحار، مايكاد يضع قدمه على عتبة بيته ويرى الفرحة في عيون أبنائه حتى يعود إلى السفينة من جديد .

إن مثل هذه الشذرات التي ترتبط بالرؤية الواقعية تتمخض عن رؤية جديدة تعد امتداداً للرؤية الواقعية، وهي الرؤية العبثية التي عبّر عنها قاسم حداد بشكل جيد في قصيدته «البشارة» عندما وظف أسطورة إغريقية قديمة سبق لمفكر وأديب عبثي فرنسي، وهو ألبير كامي، أن وظفها للتعبير عن فلسفة العبث في كتابه الشهير الذي يعد مفتاحاً لعالمه الفكري والأدبي، ونعني كتابه «أسطورة سيزيف»[٣٦].

فإذا كان «سيزيف قد حُكم عليه بأن يدفع صخرة عاتية إلى قمة الجبل كي تعود فتتدحرج إلى سفحه ويعود إلى دفعها إلى القمة من جديد، وهكذا دواليك طوال حياته، فإن قاسم حدّاد في «البشارة» يوظف هذه الأسطورة للدلالة على عبثية حياة الغواص وعقم جهده وتكرار رحلاته دون جدوى :

«ياثوبَ والدتي المرفرفَ فوقَ هامة بيتنا
يُعطي البشارهْ
إن سيزيف الذي قد غاب عادْ
عاد يحمل صخرةَ الانسان يابحر الرمادْ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سيزيف عادْ
في وجنتيه علامةُ الشوق الجريح
وفي يديهْ
تبكي شرايينٌ على ماضٍ كسيح»(٣٧)

وهنا ينبغي أن نلفت النظر إلى أن العبث هنا يظل محدوداً يشمل الوضع الحياتي الانساني لفئة اجتماعية معينة، وهي فئة الغاصة، ولا يشمل الوضع البشري العام، أي أن العبث لم يكن رؤية إنسانية عامة أو مشروعاً فكرياً يستهدف تفسير الوضع البشري المطلق، وإنما كان امتداداً للرؤية الواقعية. ومن هنا فإن هذه الرؤية العبثية تظل محصورة في نطاق المجال الاقتصادي والاجتماعي، ولا تمتد إلى المجال العقائدي الروحي.

د – الرؤية الرمزية : ومنذ البداية أعلن أن إرهاصاً ظل ينتابني أمداً طويلاً، وهو أن الرمزية التي طالما تناقر النقاد والمنظرون حول مفهومها وأوشكوا أن يجمعوا على اعتبارها مذهباً أدبيا كالرومانسية والواقعية والوجودية والسوريالية، تظل – في تقديري – مجرد أداة فنية أو أسلوب جمالي يصعب فصله عن الأدب؛ لأنه يُعد وسيلة طبيعية عضوية تدخل في تكوين النص الأدبي وتتضافر مع الصورة والمجاز والأسطورة كي تشكل «متوالية» واحدة، إذا أردنا أن نستعير مصطلح «رينيه ويليك»(٣٨)، أو بتعبير آخر أكثر وضوحاً لأنه يعد مثل عنصر الملح الذي لاتستغني عنه أي طبخة أدبية وكل مافي الأمر أنه كان هناك عدد من الشعراء والكتَّاب الذين حاولوا أن يمذهبوا هذه الأداة الفنية، من أمثال «بودلير» و «بول فيرلين» و «مالارميه» و «ميترلنك» وغيرهم من المبدعين الذين أسرفوا في اللجوء إلى هذه الأداة إلى حد ما حتى بلوروا حساسية معينة متميزة حاول النقاد أن يمذهبوها كل حسب هواه ومشربه(٣٩).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وانطلاقاً من هذا الموقف فإننا نستطيع أن نفهم الرؤية الرمزية بوصفها توظيفاً لعناصر وخامات مستوحاة من عالم الغوص.

ويمكن أن نجد شواهد كثيرة يطغى عليها الأسلوب الرمزي ويجعلها مختلفةً عن الرؤى الرومانسية والواقعية و «العبثية».

إن الشاعر الكويتي «خليفة الوقيان» يرد على مناقضة «علي السبتي» الذي عارض قصيدته «المبحرون مع الرياح» – كما أشرنا – بقصيدة تحمل العنوان ذاته، وهي قصيدة تزيح الستار عن سر تعاطف الشاعر مع هؤلاء المبحرين من الغاصة، وكأن «خليفة الوقيان» يسوغ ذلك التعاطف وتلك الرؤية الرومانسية لمعارضه «البستي».

«إني لأشقى حينما أشقى ... للمبحرين كأنهم غرقى
مجدا فهم في اليم منحطمٌ ... وشراعهم في لُجّةٍ شُقا
وسفائني في الليل ضائعةٌ ... إمَّا سَرَتْ غَرباً وإنْ شَرقا
قد تاه هاديها وضيّعها ... هادٍ سئمتُ لفتقه رتْقا
صارعتُ دهري في غضارته ... وعركتُه بتجاربي سَبْقا»(٤٠)

إن «خليفة الوقيان» في هذه الأبيات المقتطفة من القصيدة المذكورة يرى نفسه في الغائص الذي يغدو مماثلاً أو معادلاً موضوعيا – على حد تعبير إليوت– فإذا كان الغائص يواجه الدأماء والأمواج والحيتان، فإن الشاعر يواجه آفات الدهر ويواجه الحياة المضنية، ويواجه المجتمع أو الآخرين.

ونستطيع أن نقف عند مقطع آخر يجسد هذه الرؤية، وهو مقطع مأخوذ من قصيدة «عبد الله العتيبى» الموسومة «بالأمل السجين»:

«جَرَفَ التيارُ مجدا في الوحيد
عندما حطّمت الريح شراعي والسفينهْ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أملي ضاع مع المجداف في بحر الضياع
أسرته في قلاع الدم.. والأحجار.. عادات قديمهْ»(٤١) .

إن « عبد الله العتيبي» في هذا المقطع يستعير عناصر أو خامات من عالم البحر والغوص تتمثل في «التيار» و «المجداف» و «الريح» و «الشراع» و «السفينة»، ويوظفها في سياق رؤية جديدة لاترتبط بذلك العالم ارتباطاً فكرياً، وإنما ترتبط به ارتباطاً فنياً أو رمزياً. وهذه الرؤية الجديدة تتمحور حول إحساس الشاعر بحصار أمله في الحرية والانطلاق بجدران «قلاع الدم» و «الأحجار» وقضبان «العادات القديمة» .

* * *

وبعد، فإذا تركنا الرؤى ومعانيها وأتينا إلى الأشكال ومبانيها وجدنا صعوبةً في تحديد السمات الفنية المشتركة التي تربط بين الأعمال الشعرية التي تتناول غرض الغوص؛ لأن هناك تفاوتاً كبيراً بين استخدامات الأدوات الفنية ومدى نضجها لدى شعراء الغوص، وهذا أمر بديهي وطبيعي، لأن هؤلاء الشعراء يتباينون في انتماءاتهم الأدبية والفكرية، سواء بحكم عامل الزمن أم بحكم عامل اختلاف المصادر الثقافية .

ومهما يكن من أمر، فإننا نستطيع أن نقف عند أهمّ السمات الفنية وأبرزها في سياق الموازنة بين أساليب الشعراء القدامى والشعراء المحدثين من جهة، وبين أساليب شعراء القصيدة العمودية وشعراء قصيدة التفعيلة من جهة أخرى، وذلك من حيث القاموس اللغوي، ومن حيث الصورة الشعرية، ومن حيث الموسيقى .

وليس من شك في أن الموازنة بين الشعراء القدامى والشعراء المحدثين يظل أمراً يسيراً لايكلف أي عناء؛ فمن حيث القاموس اللغوي نجد ألفاظ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القدامى أكثر جزالة وقوة وغرابة بالنسبة إلى عصرنا وليس بالنسبة إلى عصرهم. «فالمسيب بن علس» الذي قدمنا لوحته الشعرية التي يصف فيها الغوص [يُرجع إلى الهامش رقم ٨] يكاد ينحت لغته من صخر بالقياس إلى لغة المحدثين، ويكفي أن نشير في هذه العجالة إلى ألفاظ «كالنجر» و «سجحاء» و «لبد» و «أشغى» و «الصراري» وما إلى ذلك . وهذا مايقال في وصف كل من «الأعشى» و «أبي ذؤيب» [الذي يبدو أنه لايجارى ولا يُشق له غبار في استخدام الألفاظ القوية الغريبة مثل «الغرنيق» و «العموج» – يرجع إلى هامش رقم ١١] والفرزدق والقطامي وغيرهم. أما ألفاظ المحدثين فهي أكثر ليناً وسماحة، على الرغم من أنَّ لغة شعراء القصيدة العمودية – من أمثال الدكتور مانع سعيد العتيبة وخليفة الوقيان ومحمد أحمد عبد الله المطوّع – تظل أكثر جزالة وقوة من لغة شعراء قصيدة التفعيلة كما سنرى .

وإضافة إلى هذا فإن الألفاظ في النصوص القديمة عادة ماتستخدم على النحو الذي وضعت له وعرفت به في أوساط اللغويين، خلافاً لألفاظ المحدثين الذين يستخدمون الألفاظ استخدامات تتجاوز تخومها وحدودها المعنوية وتستشرف آفاق الإيحاء والحدْس والرمز والظلال الواهمة التي تستعصي على التمييز الدقيق .

إن محمداً الفايز في «المذكرة الثالثة» من «مذكرات بحار» يناجي الإله ويتوسل إليه أن يدع الغاصة ينامون بلا غيوم، ويدع القمر والنجوم تغمرهم بضوئها بلا مطر :

«ياربّ ياملكاً تعالى في سماهْ
ياأيها الأبديّ يانوراً نراه ولا نراه
دعنا ننم. وبلا غيومْ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ودع القَمرْ
يضوي علينا والنجومَ بلا مطر
نحن العراة المبحرين مع المخاطر والمنون»(٤٢).

فالشاعر هنا يتعامل مع القاموس اللغوي تعاملاً مختلفاً تماماً عن تعامل «المسيب بن علس» أو «الأعشى» أو «الفرزدق» في النماذج الشعرية التي وقفنا عندها [تُراجع الهوامش آنفة الذكر]. إن «الفايز» في هذا المقطع لايستهدف التعبير عن المعاني التقريرية معجميا، كما يفعل «المسيب» أو «الفرزدق»، وإنما يستهدف الإيحاء كذلك؛ فالرؤية الأولى [نراه ولا نراه] لاتعني الرؤية البصرية، وإنما تعني الرؤية القلبية أو العقلية، والنوم الذي يطلبه الشاعر ليس النوم العادي المعروف وإنما هو السكون والهدوء والاستقرار الذي يفتقده الغاصة، والغيوم التي يخشاها الشاعر ليست الغيوم السماوية الممطرة، وإنما هي غيوم البؤس والشقاء والجور، وضوء القمر والنجوم يرمز إلى الطمأنينة والحرية .

وكذلك الأمر بالنسبة إلى هذا المقطع الذي نقتطفه من قصيدة مبارك ابن سيف «سفن الغوص البائسة» :

«إيه ياماء الخليج
كم شربنا ماءك المالح
في لهب السموم
وسمعنا آهة النَهّام أعيتها
جبالٌ من هموم»(٤٣).

«فالماء المالح» في هذا المقطع ليس هو ماء البحر فحسب، وإنما هو حياة المكابدة والمعاناة المادية والمعنوية التي يعيشها الغوّاص.

وعند الموازنة بين المحدثين أنفسهم نجد فرقاً بين لغة شعراء القصيدة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العمودية(٤٤) من أمثال سالم بن علي العويس والدكتور مانع سعيد العتيبة ومحمد أحمد عبد الله المطوّع وبين لغة شعراء قصيدة التفعيلة من أمثال مبارك بن سيف ومحمد الفايز؛ فلغة أولئك تظل لغةجزلة لأنها تمتح من قاموس المدرسة الاتباعية الجديدة التي يمثلها أمير الشعراء أحمد شوقي، ولغة هؤلاء تظل لغة سهلة بسيطة تريد أن تمتح من لغة الحياة اليومية، على نحو مانرى في المذكرة الأولى من «مذكرات بحار» لمحمد الفايز، على سبيل المثال :

«أركبتَ مثلي «البُوم»(٤٥) و «السنبوك(٤٦)» و «الشوعي(٤٧)» الكبيرْ؟

أرفعتَ أشرعةً أمام الريح في الليل الضريرْ؟

هل ذقتَ زادي في المساء على حصيرْ؟

من نخلةٍ ماتت ومامات العذابُ بقلبي الدامي الكسيرْ

أسمعتَ صوت «دجاجة»(٤٨) الأعماق تبحث عن غذاء؟

هل طارحتك «اللُّخمة»(٤٩) السوداء و «الدولُ»(٥٠) العنيدْ؟

وَهل انزويتَ وراء هاتيك الصخورْ؟»(٥١) .

هذا من حيث اللغة، أما من حيث الصورة الشعرية فلعل أهم فارقٍ بين الصورة عند القدامى بدءًا من الجاهليين حتى الإحيائيين أو الاتباعيين من أمثال سالم بن علي العويس، والصورة عند المحدثين بدءًا من الرومانسيين والواقعيين والعبثيين والرمزيين– إن صح لنا أن ننسبهم إلى الرمزية– بتمثل في الوظيفة التي تؤديها تلك الصورة؛ ذلك أن الصورة الشعرية عند القدامى تتخذ أداة للتزويق والتنميق أو التزيين والتوشية، ولا تضيف شيئاً إلى المعنى(*)، خلافاً

(*) لانوافق الباحث في قوله ان الصورة عند القدماء لاتضيف شيئاً إلى المعنى وإنما هي للتزيين والتزويق، وقد وضح عبد القاهر الجرجاني في كتابه «أسرار البلاغة» خطأ هذه النظرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للمحدثين الذين تتخذ الصورة عندهم أداة للتعبير عما يصعب التعبير عنه باللغة العادية، أي أن الصورة عندهم موحية بحالات نفسية أو سيكولوجية تستعصي على اللغة القاموسية. إن الصورة هنا تغدو لغة أخرى موازية(٥٢) .

وإذا أردنا أن نبحث عن الأمثلة الشعرية التي تؤنسنا إلى هذه الفكرة فإننا نجد كثيراً منها، ويكفي في هذه العجالة أن نتمثل بوصف الأعشى لصاحبته في لوحة شيقة أخذت عناصرها من عالم الغوص :

«كأنَّها درةٌ زهراءُ، أخرجها ... غواصُ دارينَ يخشى دونها الغَرَقا
قَد رامها حِجَجاً، مُذْ طرَّ شاربُه ... حتَّى تسعسع يرجوها وقد خَفقا
لا النفسُ تؤيسه منها فيتركها ... وقد رأى الرَّغْبَ رأيَ العين فاحترقا
ومارِدٌ من غواةِ الجنّ يحرسها ... ذو نيقةٍ، مستعد دونها، تَرَقا
ليستْ له غفْلةٌ عنها يُطيف بها ... يخشى عليها سرى السارين والسَّرَقا
حرصاً عليها لَوَانَّ النفسَ طاوعها ... منه الضميرُ ليالي اليَمِّ، أو غَرقا
في حوْمِ لجّةِ آذيٍّ له حَدَبٌ، ... منْ رامَها فارقتْه النفس فاعتُلقا
من نالها نال خُلداً لاانقطاعَ له ... وما تمنَّى، فأضحى ناعماً أنِقَا
تلك التي كَلَفَتْك النفسُ تأمُلها ... وما تعلقتَ إلا الحَيْن والحرقا»(٥٣).

إنَّ الصورة هنا تستهدف تأكيد جمال الحبيبة بتشبيهها بالدّرة التي يعاني الغوّاص كثيراً من أجل الظفر بها؛ فقد ظل يتوق إليها منذ نعومة أظفاره حتى شيخوخته، ولم يستطع حتى الجن المارد الذي كان يحرسها أن يمنعه من أخذها .

وإذا كانت هذه الصورة الجميلة الممتدّة التي تبدو لنا حسيةً تنطوي على مسحة معنوية توحي بِمَنَعةِ تلك المرأة ومكانتها الرفيعة وعزتها ومدى تعلّق الشاعر بها ومدى الجهد الذي بذله في سبيلها، فإن هذه اللوحة تستهدف في الأخير تشبيه الحبيبة بالدّرة، أما إيحاءاتها الأخرى المستمدة من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عناصر خارجية فإنها تظل هامشية أو ثانوية، خلافاً لإيحاءات الصورة العميقة التي نجدها في أعمال محمد الفايز أو قاسم حدّاد أو مبارك بن سيف.

«وعلى سفينتنا القَمرْ
يضوي ولا يُعْطي كتنور بعيدْ
كسفينة بيضاء عالية الشراعْ
أو مثل شبّاك مُضاءْ
تحت السماء
ونروح نستوحيه كالشعراء نشكيه الهيامْ
حتى ننامْ»(٥٤).

إن هذا المقطع الذي اقتطفناه من «المذكرة الثالثة» من «مذكرات بحار» لمحمد الفايز يقدم لنا صورة شعرية موحية بعناصرها الذاتية وليس بعناصر خارجية تستعين بها – على نحو مارأينا في صورة المرأة الدّرة عند الأعشى– ذلك أنَّ تشبيه القمر بتنور بعيد يوحي بمدى معاناة الغواص الذي كان جائعاً إلى درجة أنه يرى القمر فوهة تنور عقيم. إن الصورة هنا تغدو في حدّ ذاتها وسيلة تعبير فعّالة في يد الشاعر. وما يقال في هذه الصورة يقال في الصورتين الأخريين: صورة القمر السفينة التي توحي بمدى تعلق الغوّاص بالأمل والحياة [السفينة العالية الشراع المنقذة]، وصورة القمر الشباك التي توحي بحنين الغواص إلى الأنثى وإلى الحنان والاستقرار.

وما يقال في صور محمد الفايز يقال أيضاً في صور قاسم حدَّاد أو مبارك بن سيف اللذين سبق لنا أن وقفنا عند نماذج من أشعارهما.

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى بعض الدراسات التي تريد أن تميّز بين الصورة في القصيدة العمودية والصورة في قصيدة التفعيلة، على نحو ماورد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في الدراسة التي قدمتها السيدة «هيا محمد عبد العزيز الدرهم» تحت عنوان «صورة البحر في الشعر العربي الحديث بالخليج»، حيث أكدت أن الشعر العمودي أكثر اعتماداً على المدركات الحسية لطرفي التشبيه معاً، في حين أن الشعر الحر كان أكثر قدرةً على التعامل مع المدركات المعنوية إلى جانب المدركات الحسية»(٥٥) .

فمن المستبعد أن نميّزبين الصورة في القصيدة العمودية والصورة في قصيدة التفعيلة على هذا النحو، وخاصة أن هناك شعراء من أمثال «علي السبتي» و «محمد الفايز» و «غازي القصيبي» و «حسن عبد الله القرشي» و «عارف الخاجة» وغيرهم من الشعراء الذين يكتبون القصيدة العمودية والقصيدة الحرة معاً؛ فهل يعقل أن يغيّر الشاعر الواحد أدواته الفنية – باستثناء الموسيقى – بهذه السهولة؟ ثم ينبغي ألا ننسى أن الشعراء المحدثين الذين أحدثوا انقلاباً في مفهوم الصورة ووظيفتها، من أمثال خليل مطران ، وبشارة الخوري، وأحمد زكي أبي شادي، وإبراهيم ناجي وغيرهم، كانوا يكتبون القصيدة العمودية، وهو مايؤنسنا إلى أن طبيعة الصورة ووظيفتها لاتتغيران بتغيّر البنية الموسيقية .

هذا، وإذا كان لابد من الموازنة بين موسيقى القدامى وموسيقى المحدثين، فإنه من نافل القول الاشارة إلى أن القدامى والمحدثين من الاحيائيين والاتباعيين الجدد والرومانسيين وغيرهم، ظلوا ملتزمين بعمود الشعر مبجلين القوافي والأوزان الخليلية، إلى أن ظهرت بوادر التمرد على الفراهيدي في أعمال شعراء التفعيلة من أمثال نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور ونزار قباني وغيرهم، وهي البوادر التي امتد رذاذها إلى الخليج العربي .

والجدير بالملاحظة أن الغالبية العظمى من شعراء الغوص في الخليج

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العربي يكادون يتبنون شكل القصيدة الحرة. ولعل السبب يعود إلى قناعة هؤلاء الشعراء بأن الالتزام بعمود الشعر وبنيته الموسيقية لايستوعب حياة الغوص ذات النسيج الاجتماعي والاقتصادي والسيكولوجي المعقّد .

* * *

وبعد، فالذي نخلص إليه أن الغوص على اللؤلؤ في شعر الخليج العربي يشكل حضوراً متميزاً بوصفه ظاهرة أدبية وملمحاً من ملامح أصالة هذا الشعر وعراقته وارتباطه بالتربة الخليجية المحلية، ويعكس رؤى فكرية وفنية متباينة تتراوح بين الرؤى الرومانسية والواقعية والرمزية والحداثية، وذلك وفقاً لموقع شاعر الغوص من بيئة الظاهرة تاريخياً أو جغرافياً .

وإذا كانت هذه الظاهرة الأدبية المتميزة قد تلاشت حدودها تاريخياً بانتهاء عهد الغوص في الخليج العربيّ، فإنها تظل تعيش وجدانياً بوصفها نبعاً ثرا من المنابع التي يمتح منها الشعر العربي المعاصر في هذه المنطقة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إحالات

١– إن مواقيت الزواج كانت مرتبطة بالعودة من السفر البحري وبيع اللؤلؤ واقتضاء الأجر .

٢– من الأسماء الرائجة في منطقة الخليج العربي والمشتقة من الغوص على اللؤلؤ اسم «دانة» واسم «موزة» و «درة» و «جمانة» وما إلى ذلك .

٣ – نذكر– مثلاً– لعبة الغوص في الرمل التي يمارسها الأطفال، وذلك بأن يُلف رأس الطفل في قطعة قماش ويوضع في حفرة، ثم يهال عليه الرمل كي يختبر في قدرته على الاستمرار تحت الرمل، كما يختبر الغواص على الاستمرار تحت الماء .

٤– من الأغاني التي يرددها الأطفال –مثلاً– بعد خروجهم من الكتّاب :

«بندر الكوس الله هدانا
بندر الكوس سكّر غدانا»

[يرجع إلى كتاب «المطوّع في دولة الامارات العربية المتحدة» للأستاذ عبد الله علي محمد الطابور. المطبعة الاقتصادية. دبي ١٩٩٢. ص ٢٨].

ومن الأغاني الجميلة التي كانت ترددها المرأة في الامارات العربية المتحدة أغنية «ياليتني رمانة»، ونصها :

«ياليتني رمانة بثمر بسوي خوص
بظلل على الغالي لي في الغبيب يغوص»

[ص ١١٦ من كتاب «الأغاني الشعبية للأطفال والنساء في دولة الإمارات العربية المتحدة». إعداد فوزية طارش رحمة. دبي. الطبعة الأولى ١٩٩٤] .

إن المرأة هنا تتمنّى أن تكون شجرة رمان فوق البحر لتظلل زوجها الذي يغوص في الأعماق بحثاً عن اللؤلؤ .

وهناك أغان كثيرة مايزال يذكرها الغواصون القدماء المسنون كانت تتناول حياة الغوص والبحر [يُرجع إلى كتاب «الامارات في ذاكرة أبنائها» لعبد الله عبد الرحمن. مطبعة دبي. القراءة للجميع للنشر والتوزيع. ط١/١٩٩٠/ ص ٤١، ٤٢، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣].

٥– هناك كثير من الشعراء الشعبيين الذين عبروا عن هذه المعاناة بمواويل وأهازيج وقصائد جميلة، من بينها تلك القصائد الجميلة التي قالها الشاعر «فهد بورسلي» في وصف رحلات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

«السفر» في البحر، وهي القصيدة التي نقتطف منها الأبيات الآتية :

يانوخذا ياليتني مانعنيتْ ... ماينبغي درب وراه المماتي
لين اطرحوا ويأهلَ الخشب صفيت ... صفة صفوف ينطرون الزكاتي
لي صار وقت الصبح مثل العفاريت ... الكل يركض فازع بالعصاتي
لي من تجنوا حل بالشمل تشتيت ... كل على فاله يدور الغناتي
لين افلقوا محارهم «لاش ونيت» ... ابچي حفنا والقلب دايم يحاتي
خلو نهد يبچي على واحد ميت ... لي عاد راس المال حظ وماتي

[الدكتور عبد الله العتيبي: دراسات في الشعر الشعبي الكويتي. مؤسسة الخليج للطباعة والنشر. ط١ الكويت ١٩٨٤. ص ١١٩] .

ويمكن أن نذكر أبياتاً أخرى من قصيدة «عبد الله الدويش» التي سجل فيها مراحل سفره من الهند إلى الكويت، وهي القصيدة التي نجتزئ منها مايأتي :

«ياراكب من فوق سمح العوالي ... ساجية تقطع بحور طويلة
لي علق شراعه وهب الشمالي ... توحي عجيج الموج مثل الدبيلة
خاطف من الديرة من الحمل خالي ... ناحي المعامر والحمل مرتكى له
وشطن وحمل لين حدا الجوالي ... وخلي الكرايخ والحمل زاد شيله»

[الدكتور عبد الله العتيبي : دراسات في الشعر الشعبي الكويتي. ص ١٢١].

٦– الدكتور عبد الله العتيبي: دراسات في الشعر الشعبي الكويتي. ص ١٠٠ .

٧– هناك أعمال أدبية نثرية كثيرة تتناول حياة الغوص نذكر منها – على سبيل المثال – روايتي «اللآلى» و «القرصان والمدينة» للكاتب البحريني عبد الله خليفة، وبعض قصص مجموعة «الشقاء» للكاتب الاماري علي عبد العزيز الشرهان، وبعض قصص مجموعة «همس الشواطئ» للكاتبة الاماراتية أسماء الزرعوني .

٨– يشبه «المسيب بن علس» امرأة بجمانة أخرجها الغواص من لُجة البحر بعد مشقة وعناء مضنٍ واصفاً الرحلة الطويلة عبر البحر والسفينة السجحاء والأمراس والربان المساعدين، ومشيراً إلى قصة هلاك والد الغواص في سبيل تلك الجمانة المضيئة كالجمر، وإصراره على الظفر بها، وما إلى ذلك من التفاصيل التي تشكل لوحة جميلة :

كَجُمانَةِ البحريّ جاء بها ... غواصُها من لُجَّةِ البحْرِ
صُلبُ الفؤاد رئيس أربعةٍ ... متخالفي الألوان والنجْرِ
«فتنازعوا حتَّى إذا اجتمعوا ... ألقوا إليْه مقالدَ الأمرِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعَلتْ بهم سجحاءُ خادمةٌ ... تَهْوي بهم في لُجة البحر
حتى إذا ماساء ظنهمُ ... ومضى بهم شهر إلى شهر
ألقى مراسيَه بتَهلكة ... ثَبَتَتْ مراسيها فما تجري
فانصبَّ أسقُفُ رأسه لبدٌ ... نُزعتْ رباعيتاه للصبْر
أشغَى يمُجُّ الزيْتَ ملتمسٌ ... ظمآنُ ملتَهبٌ من الفقرِ
قَتَلتْ أباه فقال أتبَعُه ... أو أستفيدَ رغيبَةَ الدهر
نصَفَ النهارَ الماءُ غامرُه ... ورفيقُه بالغيب لايدري
فأصابَ منيَته فجاء بها ... صدفيةً كمضيئة الجَمْر
يُعطَى بها ثمناً ويمنعها ... ويقولُ صاحبه ألا تشري؟
وترى الصراري يسجدون لها ... ويضمها بيديه للنحر
فلتلك شِبْهُ المالكيةِ إذ ... طلعتْ ببهجها من الخدر!»

[يرجع إلى كتاب «الغوص على اللؤلؤ في المصادر العربية» للأستاذ عبد الله يوسف الغنيم. ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع. الكويت ١٩٧٣. ص ٨– ١٠] .

٩– مما قاله الأعشى في وصف صاحبته :

كأنَّها درَّةٌ زهراء أخرجها ... غواصُ دارين يخشى دونها الغَرَقا
قد رامها حِجَجاً مذْ طرَّ شاربُه ... حتى تسعْسَعَ يرجوها وقد خفقا
لا النفس توئسه منها فيتركها ... وقد رأى الرغْبَ رأي العيْنِ فاحترقا

[انظر «ديوان الأعشى». تحقيق لجنة الدراسات في دار الكتابِ اللبناني بإشراف كامل سليمان. دار الكتاب اللبناني. بيروت. د ت. ص ١٢٨].

١٠– مما يقوله المخبّل السعدي في هذا المجال :

«كعقيلةِ الدرِّ استضاء بها ... محرابَ عرشِ عَزيزِها العُجْمُ
أغْلَى بها ثمناً وجاء بها ... شَخْتُ العِظام كأنَّه سَهْمُ
بلبانِه زيتٌ وأخْرجها ... من ذي غواربَ وسْطه اللُّخْمُ
أو بيْضةِ الدِّعْصِ التي وُضِعَت ... في الأرض ليس لمسِّها حَجْمُ»

[انظر ديوان «المفضليات» لأبي العبّاس المفضل الضَّبي. تحقيق كارلوس يعقوب لايل. مطبعة الآباء اليسوعيين . بيروت ١٩٢٠. ص ٢١٣– ٢١٤] .

١١– يقول أبو ذؤيب الهذلي واصفاً الغوّاص الذي بذل جهداً حتى استطاع أن يخرج «درة قامس»:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

«أجازَ إليْها لُجّةً بعْدَ لُجّةٍ أزَلُّ كَغُرْنوقِ الضحول عَمُوجُ
فجاء بها ماشئتَ منْ لَطمَيةٍ يدومُ الفُراتُ فوقها ويَموجُ
فجاءَ بها بعد الكَلالِ كأنّه منَ الأيْنِ محراسٌ أقذُّ سحيجُ»

[انظر «ديوان الهذليين». الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٥. ص ٥٦– ٥٧].

١٢– مما يقوله القطامي في هذا المجال :

«كأنّها بيْضةٌ غرّاءُ خُدَّ لها في عشعثٍ يُنْبتُ الحوذان والعَذَما
أو درّةٌ من هجانِ الدرّ أدركها مصفرٌّ من رجال الهنْد قَدسُهمَا
أوفى على ظهْرِ مِسْجاح تَقَدّمه غوارِبُ الماءِ قد ألقَيْنَه قُدُما
جوفاءَ مطليةٍ قاراً إذا اجتنَحتْ به غواربُه قَحَمْنَها قَحَمَا
حتّى إذا السُّفْنُ كانتْ فوقَ مُعْتَلجٍ ألقى المعاوزَ عنه ثُمتَ الكتَما
في ذي حبوكٍ يُقَضّي الموْتُ صاحبَه إذا الصَّراري من أهواله ارتسَما
غوّاصُ ماءٍ يمجُّ الزيْتَ منغمساً إذا الغُمورةُ كانت فوقه قِيَما
حتى تناولَها والموتُ كاربُه في جوف ساجٍ سوداويٍّ إذا فَحَما

[عد إلى «ديوان القُطامي». تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب. دار الثقافة. بيروت. الطبعة الأولى. ١٩٦٠. ص ٩٨– ١٠٠] .

١٣ – يرسم القرزدق لوحة تشبه تلك التي رسمها المسيب بن علس من حيث امتداد الصورة وجمالها، ولكن لوحة الفرزدق تبدو عليها خطوط وألوان إبداعية أسطورية، فقد وصف «جبيرة بنت أبي بذال» بالدرة التي جازف الغواص فألقى بنفسه في لجّة البحر وهو يعلم أنّ هناك حيةً تنفث سُمّاً تقوم على حراسة تلك الدرّة وتذب عنها. وبعد لأي يفوز الغوّاص بتلك الدرّة اليتيمة ولكنه لم يستطع أن يستمتع بجمالها، لأن الحية كانت قد لسعته فقضى نحبه بين يدي والدته التي هان عليها موته عندما رأت تلك الدّرة الثمينة :

«كدرّة غواصٍ رمى في مهيبةٍ بأجرامه والنفس يخشى ضميرُها
موكّلةً بالدّر خرْساء قد بكى إليه من الغواص منها نذيرها
فقال ألا في الموت أو أطلب الغنى لنفسيَ والآجال جاءٍ دهورُها
ولمّا رأى من دونها خاطرت به على الموت نفسٌ لاينامُ فقيرُها
فأهوى ونابَاها حوالي يتيمةٍ هي الموت أودينا ينادي بشيرُها
فألقَتْ بكفَّيْه المنيةُ إذْ دنا بعَضّةِ أنيابٍ سريع سؤورُها
فما جاءَ حتّى مَجَّ والماءُ دونه من النفس ألواناً عبيطاً نحورُها

هدية تجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فلمَّا أروْها أمَّه هان وجْدها رجاءَ الغنى لَمَّا أضاء منيرُها
وظلتْ تغالاها التِّجَارُ ولا تُرى لها سيمةٌ إلاَّ قليلاً كثيرها»

[يرجع إلى ديوان الفرزدق. تحقيق كرم البستاني.المجلد الأول. دار صادر. بيروت ١٩٦٦. ص ٣٦٤– ٣٦٥] .

١٤ – الدكتور محمد جابر الأنصاري: أدب الاصلاح الاجتماعي في الخليج. مجلة «الدوحة». عدد أغسطس– قطر ١٩٧٦. ص ٤٦ .

١٥ – من هذه الدراسات الجديرة بالذكر كتاب السيدة «هيا محمد عبد العزيز الدرهم «صورة البحر في الشعر العربي الحديث بالخليج». دار الثقافة. قطر. الدوحة ١٩٨٦، وهو كتاب يهتم بصورة البحر ولا يهتم بالغوص إلا عرضاً، وكتاب «الغوص على اللؤلؤ في المصادر العربية القديمة» للأستاذ عبد الله يوسف الغنيم. ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع. الكويت ١٩٧٣، وهو كتاب يهتم بالغوص بوصفه نشاطاً تجارياً واقتصادياً بالأساس، ولكنه لفت الأنظار في مقدماته أو تمهيده إلى النصوص الشعرية القديمة التي تناولت الغوص .

١٦ – خيرة الشيباني: الاتجاهات الرئيسية للحركة الشعرية المحلية من جيل الرواد إلى جيل السبعينات. مجلة «شعر». مؤسسة الثقافة والفنون بالمجمّع الثقافي. أبو ظبي. عدد إبريل ١٩٩١. ص ١٥٤ .

١٧ – يرجع إلى مقالة الدكتور محمد جابر الأنصاري «الغواص القديم الذي استخرج أدباً جيّداً». مجلة الدوحة. عدد مايو ١٩٧٦. ص ٦٤ .

١٨ – محمد أحمد عبد الله المطوّع: ذكريات وأمانيّ. مطبوعات إدارة الثقافة والفنون. وزارة الاعلام. الدوحة قطر ١٩٨٩. ص ٦٩– ٧٠ .

١٩ – سلطان خليفة: وحي الزهور. كتاب «الأزمنة الحديثة». الامارات العربية المتحدة. ١٩٧٩. ص ٢٠ .

٢٠ – محمد أحمد عبد الله المطوّع: ذكريات وأمانيّ. ص ٧٠ .

٢١ – إبراهيم ناجي: ديوان إبراهيم ناجي. دار العودة . بيروت ١٩٨٣. ص ١٠٤– ١٠٦ [والشواهد الواردة هنا ليست مرتبةً بالتسلسل] .

٢٢ – ديوان «الشاعر الجامح خلفان بن مصبّح». منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات. المطبعة الاقتصادية. الطبعة الأولى ١٩٩٥. ص ٨٣– ٨٤. [صنَعهُ شوقي رافع، وجمعه كل من آمنة سالم وفاطمة سالم وخالد المحمود، وحققه ونقّحه الدكتور وليد محمود خالص] .

٢٣ – شوقي رافع: مقدمة ديوان «خلفان بن مصبّح» . ص ١١ .

٢٤ – الدكتور مانع سعيد العتيبة: المسيرة. دار الفجر. أبو ظبي. الإمارات العربية المتحدة. الطبعة الثالثة ١٩٨٣. ص ٢٠– ٣٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٥ – الصدر ذاته. ص ٢١ .

٢٦ – خليفة الوقيان: المبحرون مع الرياح. شركة الربيعان للنشر والتوزيع. ط٢ . الكويت ١٩٨٠. ص ١٧– ١٨ .

٢٧ – ينظر «ديوان الشعر الكويتي». اختيار وتقديم الدكتور محمد حسن عبد الله. وكالة المطبوعات. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٤. ص ٢٩٩ وما بعدها .

٢٨ – سالم بن علي العويس: نداء الخليج. دار المهد للنشر والتوزيع. الطعة الأولى. عمان– الاردن ١٩٨٧ ص ٥٠– ٥١ .

٢٩ – عبد الاله عبد القادر: سالم بن علي العويس الصوت القادم من صحراء الجمر وحرقة العطش. كتاب «سالم ابن علي العويس» [وثائق ودراسات وأبحاث]. سلسلة «كتاب وأدباء الامارات». عدد ١ . منشورات اتحاد كتاب وأدباء الامارات. الطبعة الأولى ١٩٨٨. ص ٢٠ .

٣٠ – علي السبتي: أشعار في الهواء الطلق. دار السياسة. الكويت ١٩٨٠. ص ٣٥ .

٣١ – مبارك بن سيف: سفن الغوص البائسة. مجلة «الدوحة». قطر. عدد يناير ١٩٧٦. ص ٤٩ .

٣٢ – محمد الفايز: المجموعة الشعرية. مؤسسة الرياض للطباعة العامة. الكويت ١٩٨٦. ص ١٣ .

٣٣ – المصدر ذاته. ص ٩ .

٣٤ – المصدر ذاته. ص ١٣ .

٣٥ – المصدر ذاته. ص ٨٠ .

٣٦ – ألبيركامي: أسطورة سيزيف. ترجمة أنيس زكي حسن. دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٨٣ .

٣٧ – قاسم حدّاد: البشارة. شركة الربيعان للنشر والتوزيع. الكويت ١٩٧٠. ص ٢٤– ٣٢ .

٣٨ – رينيه ويليك: نظرية الأدب. ترجمة محيي الدين صبحي. مراجعة الدكتور حسام الخطيب. منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. دمشق. دت. ص ٢٣٩ .

٣٩ – ينظر كتاب «مفاهيم نقدية» لرينيه ويليك . ترجمة الدكتور محمد عصفور. سلسلة عالم المعرفة. عدد شباط ١٩٨٧. مطابع الكويت ١٩٨٧. ص ٢٦٤– ٣٠٣ .

٤٠ – ديوان الشعر الكويتي. ص ١٥٠ .

٤١ – المصدر نفسه. ص ٢٥٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤٢ – محمد الفايز: المجموعة الشعرية. ص ١٩ .

٤٣ – مبارك بن سيف: سفن الغوص البائسة. ص ٤٩ .

٤٤ – نفضل هنا أن نصنفهم على أساس الالتزام بعمود الشعر أو عدم الالتزام به؛ لأن هناك ظاهرة لافتة للنظر تسوّغ هذا التصنيف، وتتمثل هذه الظاهرة في أن هناك شعراء تناولوا الغوص انطلاقا من رؤية واقعية، على الرغم من أنهم يصنفون عادةً في خانة الكلاسيكيين أو الاتباعيين أو الإحيائيين الجدد. وفي مقدمة هؤلاء سالم بن علي العويس الذي يلتقي في رؤيته مع محمد الفايز، على الرغم من اختلافه عنه فنياً اختلافاً كبيراً .

إن محمد اً الفايز في هذا المقطع يستخدم ألفاظاً عادية جداً مأخوذة من القاموس اليومي للغائصين، إلى درجة أنه يحصرها بين أقواس، وكأنه يحس بأنها ألفاظ عامية وليست فصيحة وهذا مالا نجده أبداً عند شعراء القصيدة العمودية.

٤٥، ٤٦، ٤٧ – سفن شراعية تصنع في الكويت .

٤٨ – سمكة جارحة تشبه الدجاجة .

٤٩ – سمكة جارحة .

٥٠ – حيوان بحري شرس .

٥١ – محمد الفايز: المجموعة الشعرية. ص ٧ .

٥٢ – يُرجع إلى كتاب الدكتور نعيم اليافي «تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث». منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٨٣. ص ٩٨ وما بعدها .

٥٣ – ديوان الأعشى. ص ١٢٨– ١٢٩ .

٥٤ – محمد الفايز: المجموعة الشعرية. ص ١٩ .

٥٥ – الأستاذة هيا محمد عبد العزيز الدرهم: صورة البحر في الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج. ص ١٣٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net